

مجالات الخطاب الإبستمولوجي المعاصر

Areas of contemporary epistemological discourse

محمد عفيان

AFIANE Mohamed

جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة (الجزائر)، mohamed.afiane@univ-saida.dz

تاريخ النشر: 2023/07/13

تاريخ القبول: 2023/02/07

تاريخ الاستلام: 2022/11/01

الملخص: ترتبط مجالات الخطاب الإبستمولوجي الراهن بتأويلات المنهج التي تحاكي الطابع العام لنظرية المعرفة حسب طبيعة التطورات الإبستمولوجية داخل العلوم من نسق إلى آخر خاصة في ظل اللانسقية، وهذا راجع إلى العلاقة بين العلم والفلسفة وما ينتج عنها من تفلسف العلماء ونظريات تطبيقية جديدة تحدد أهمية ومجالات فلسفة العلوم وبراديجم المعرفة من المنهج إلى اللامنهج.

ونهدف من خلال دراستنا لمجالات الخطاب الإبستمولوجي المعاصر إلى الوقوف على ماهية الخطاب الإبستمولوجي، ومنهجيته وتطوره وراهنيته، أما على مستوى الماهية نهدف إلى توضيح علاقة الفلسفة بالعلم وكيف تطورت، وعلى مستوى المنهج نوضح علاقة الفلسفة بالعلم، وفروع هذه العلاقة، داخل نظرية المعرفة، بالإضافة إلى الطرح المعاصر عند بول فيرابند الذي تحرر من النسقية إلى اللامنهج.

الكلمات المفتاحية: اللانسق، البراديجم، الإبستمولوجيا، اللامنهج، المنهج، تصنيف العلوم، الحقيقة، العلم، الفهم.

Abstract:

The fields of the current epistemological discourse are related to the interpretations of the approach that simulate the general nature of the theory of knowledge according to the nature of epistemological developments within the sciences from one format to another, especially in light of the inconsistency. Knowledge from curriculum to extracurricular.

Through our study of the fields of contemporary epistemological discourse, we aim to identify what epistemic discourse is, its methodology, its development, and its currentness. As for the level of essence, we aim to clarify the relationship of philosophy with science and how it has evolved. Contemporary thesis of Paul Feyerabend, who freed himself from formalism to non-curriculum.

Keywords: asymmetry, paradigm, epistemology, extracurricular, method, classification of sciences, truth, science, understanding.

المؤلف المرسل: محمد عفيان ، الإيميل: afianemoh82@gmail.com

1. مقدمة

الإنسان بطبعه ميال إلى المعرفة وهذا ما أكده أرسطو في المقالة الأولى من مؤلفه الميتافيزيقا، كما ارتبطت المعرفة بالحاجة و بذاتها والتأمل للأماكن والظواهر والأشخاص والأحداث، فكان لكل عصر تأويلات تتناسب مع الطابع الفلسفي والسياسي والاجتماعي، حيث نجد الحاجة في الحضارات الشرقية عملية، ولوغوس والتأمل شغل عقول الفلاسفة في اليونان؛ والإيمان سبق التعقل في القرون الوسطى؛ والخطاب حول المنهج في العصر الحديث؛ والانسقية والتنوع في الخطاب المعرفي المعاصر، كلها تأويلات للخطاب الفلسفي العلمي ومنهجه بالقدر الذي يعكس علاقة العلم بالفلسفة وهو ما نحاول الإجابة عنه في دراستنا حول تأويلات الخطاب الإستيمولوجي ومساره داخل نظرية المعرفة وكيفية تبلور الحقيقة، وسط المعرفة التي يعقبها تأمل يتخلله نقد فلسفي يبرر تفلسف العلماء ويبحث عن المنهج الجديد للمعرفة وطبيعتها وتصنيفاتها وحقيقتها، فكانت إشكالية الدراسة كالتالي:

ما هي مجالات الخطاب الإستيمولوجي المعاصر داخل التحولات المعرفية الراهنة من النسق إلى اللانسق؟

أما المنهج، فقد اعتمدنا على المنهج التحليلي لتحليل مجالات وماهيات فلسفة العلم من خلال الخطاب الإستيمولوجي المعاصر، والمنهج المقارن وفق العناصر التالية: مقارنة الفلسفة بالعلم، وتحليل علاقة الفلسفة بنظرية المعرفة، وعلم اجتماع العلوم، وتاريخ المعرفة، وتجليات الخطاب الإستيمولوجي المعاصر بين النسق والانسق.

2. الفلسفة والعلم

الدور الفلسفي الجديد داخل الخطاب المعرفي، هو أن ننطلق من العلم لنصل إلى الفلسفة بعدما كنا في الفلسفة الكلاسيكية ننطلق من العلم لنصل إلى الفلسفة، أصبحت مرجعية الفلاسفة علمية وهي اشتغال على نتائج العلوم وفحص نظرياتها وإيجاد حلول لكل العقبات التي تفلسف حولها العلماء تطبيقياً، وهذا أساس الخطاب الإستيمولوجي المعاصر داخل العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية، حيث رحبت الفلسفة بكل انشغالات المعارف الأخرى وهذا ما يوضحه الدكتور طالبي في مؤلفه الموسوم بـ: (مدخل إلى عالم الفلسفة) حيث يذكر: «إن الفلسفة تتبع من قدرة عقل الإنسان في أن يسأل أسئلة جديدة، أو أن يصوغ أسئلة قديمة صياغة جديدة، وبهذا تضاف إلى الفلسفة كل المسائل العقلية اليتيمة التي رفضتها العلوم الأخرى بسبب صعوبتها وجمودها، ولكن الفلسفة دار ترحب بهذه المشكلات العنود فهي منزل فسيح لا يضيق بهذه المشكلات العقلية التي لم تستطع المجالات العلمية الأخرى أن تتغلب عليها» (الطالبي، 2006، صفحة 24).

إذاً جاز لنا الحديث عن مشكلة الدور في الفلسفة، فقد يتبادر لذهن القارئ الدور الديكارتي الذي هو روح الكوجيتو، لكن المستقرئ لتراث العلم والفلسفة يلتمس دوراً آخر بدايته كانت الفلسفة التي كانت تعنى بقضايا

الانطولوجيا والأكسيولوجيا والإبستمولوجيا، فاشتملت على العلم، ومع تأسيس المخابر وترويض العلوم وتكميمها، استقلت المعارف الاجتماعية عن الفلسفة، لكن مستجدات العلم جعلت الباحث يعود إلى الفلسفة، خصوصاً الفلسفة في زماننا التي تعنى بالقضايا اليومية من المستوى الأول والقضايا العلمية (غادامير، 2006، صفحة 145)، فبداية العلم فلسفية، ومن نتائج العلم بداية فلسفية لإشكاليات جديدة، وهكذا تكون آخر كلمة في الفلسفة هو أنه ليس فيها كلمة أخيرة. كما ارتبط النشاط الفلسفي بالعلم لدراسة مختلف الظواهر وهذا من خلال الإبستمولوجيا، التي تهدف إلى تحديد قيمة الخطاب الذي يزعم أنه علمي وأنموذج الدقة في العلوم مركز على الفيزياء وما هو صالح عليها يبحث الفلاسفة عن تعميمه على معارف أخرى.

ولتحديد موضوع الإبستمولوجيا وجب تحديد موقعها الفلسفي أو العلمي أو الأدبي أو الفني خصوصاً أمام أنواع المعارف الأخرى. تماثل دراسة الإبستمولوجيا في تحديد علاقة العلم بتاريخه، بعلاقة الكيانات الحضرية الأخرى بتاريخها، فقد تعتبره بمثابة سجلها المدون الذي يحمل معالم تشكل هويتها، فلا تتفصل عن تاريخها إلا إذا كان الشخص أن ينفصل عن بطاقة هويته (غادامير، 2006، صفحة 24)، ودراسة تاريخ العلوم مرتبط بالبحث عن صورته تزامنياً أو تعاقبياً.

فالتعاقبية تكوينية عبر مراحل الزمان لسرد الأخبار، والتزامنية تشتمل على دراسة المعارف في الوقت الراهن الحالي، بالإضافة إلى التزامن والتعاقب فارتباط الإبستمولوجيا بالعلم وتاريخه أيضاً، متعلقة بطبيعة تطور نظريات المعرفة سواء عن طريق التراكم أو القطيعة وتتجلى لنا جدلية الفلسفة والعلم من خلال البحث عن الحقيقة سواء من وجهة تأمل يتخلله نقد فلسفي أو من خلال الفحص عن مختلف النظريات والكشف والمشاهدة والتفسير وعلى أي حال إذا كان العلم لا يفكر في ذاته فإن فلسفة العلم هي التي تتكفل بذلك العبء وتضطلع بالتفكير في ذات العلم في منهجه ومنطقه وخصائص المعرفة العلمية وشروطها وطبائع تقدمها وكيفياته وعوامله على الإجمال التفكير في الإبستمولوجيا» (الخولي، 2000، صفحة 9).

والإبستمولوجيا مرتبطة بالمعرفة العلمية؛ بينما نظرية المعرفة تهتم بالمعرفة عموماً فهي أشمل، وعلاقة الإبستمولوجيا بنظرية المعرفة هي علاقة الجزء بالكل، في الإبستمولوجيا التكوينية عند روبير بلانشي، وأيضاً نجد الإبستمولوجيا الفلسفية التي لها طابع فلسفي نقدي. والتطور المعرفي مثلاً عبر عنه باشلار بالقطيعة كون المبادئ الأولى هي معارف خاطئة نشأت في أحضان السحر والأسطورة، وتطغى عليها العامة أكثر من العلمية. في حين نجد توماس كوهن يرى بأن العلم بناء سيهدم وسيشيد باستمرار، فما حقيقة تطور العلوم عنده؟

3. مفهوم الأنموذج المعرفي عند توماس كوهن

نقل توماس كوهن مفهوم الثورة من الدلالة السياسية إلى المستوى المعرفي العلمي، وهذا عندما يصبح العلم السوي غير سوي، فتحدث أزمة وتتشأ معرفة أخرى، وهكذا فالثورة هي التغيير الجوهرية في ظاهرة ما، وفي المفهوم السياسي مرتبطة بالنظام، والثورات الفلسفية تبدأ في النشوء في صورة ضيقة إلا أن يتوسع مداها لتشكّل براديغم (الخولي، 2000، صفحة 10)، ويعتقد توماس كوهن بالبراديغم الأنموذج المعرفي الذي يكون سويًا ثم يصبح شاذًا، ويعود من جديد وعلى نفس الوتيرة تتقدم النظريات المعرفية الأخرى.

ومثال على ذلك الثورات التي حدثت في تاريخ العلوم، ثورة الأورغانون الجديد أو التجديد المعرفي مع فرانسيس بيكون، أين كانت القطيعة مع أورغانون أرسطو المنطقي، والبحث في الخطاب التجريبي الجديد القائم على جعل المعرفة قوة، فتحدث فرانسيس بيكون عن فلسفة ثانية، يعدها بديلة عن الفلسفة الأولى في الأورغانون القديم عند أرسطو.

ونفس الحدث العلمي عن القطيعة بين فيزياء نيوتن الكلاسيكية والفيزياء الكوانتية مع النظرية النسبية عند ألبرت أينشتاين، حيث أحدثت النظرية النسبية تغيير جوهري في عالم الطبيعة وبالخصوص البحث عن تحديد حركة الأثير الضوئي الذي يعتقد أنه يملأ غالبية الفضاء» (كوهن، 2007، صفحة 205) فكانت نظرية نيوتن وفيزياء أينشتاين متناقضتين من حيث المنطلقات والنتائج وهذا التغيير هو تغيير المعرفة من مرحلة سوية على مرحلة الأزمة وتعبها مرحلة سوية جديدة.

4. معايير تصنيف العلوم

في بناء شق خاص لنظرية المعرفة دوماً نجد تصنيف العلوم ومراتبها حسب طبيعة العصر والمعرفة، إضافة إلى أصول هذه المعارف وفروعها، وغالباً يقوم الفلاسفة بتصنيف العلوم، فنجد النظري والعملي، وعند فلاسفة الإسلام العلوم العقلية والنقلية، متأثرين بتصنيف أرسطو للعلوم، وأضافوا إليه مستجدات، فوضع الفارابي المعلم الثاني كتابه إحصاء العلوم، وصنف الخوارزمي العلوم في كتاب مفاتيح العلوم (الخولي، 2000، صفحة 192).

وأول اشتغال في تصنيف العلوم كان مع أفلاطون في مؤلفه الموسوم بالجمهورية ضمن بحثه عن مشكلة المعرفة التي حقيقتها من حقيقة التجريد الرياضي الصاعد وفق منهج الجدل الصاعد، الذي مستقره عالم المثل موطن الحقيقة والثبات والفلاسفة، أما غير ذلك من المعارف فهو من قبيل الريب والزيف، والضلال، وهذا ما نجده في أسطورة الكهف.

ويلي تصنيف أفلاطون ما ذهب إليه أرسطو طاليس في قسمته للعلوم الفلسفية الأولية إلى نظرية وعملية، بحيث جعل موضوع العلم النظري الوجود بما هو موجود، نافياً بأن يكون للعلم النظري غايات مادية وأقسامه العلم الطبيعي والرياضي والإلهي، أما العلم العملي فيقسمه أرسطو إلى الأخلاق وعلم التدبير المنزل وإفادة الأسرة، وعلم تدبير المدينة السياسة (العربي، 1999، صفحة 166). وإذا كان أفلاطون جعل بوابة المعارف رياضيات، فإن المدخل والأداة لجميع العلوم عند أرسطو هو المنطق الآلة التي تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ. (العربي، 1999، صفحة 165).

وأول تعبير في الفلسفة الإسلامية طراً على نظرية المعرفة في تصنيف العلوم نجده مع فيلسوف العرب أبي إسحاق الكندي، حيث لم يذكر المنطق وأغفل العلوم العملية عند اليونان، وقسم العلم إلى طبيعي ورياضي وربوبي. في حين نجد البعد الإستمولوجي في تصنيف الفارابي للعلوم في مؤلفه إحصاء العلوم، منها علوم اللسان والمنطق، والتعاليم الرياضية والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي، والعلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام (النجار، 1992، صفحة 34). وتندرج رؤية الفارابي لنظرية المعرفة خصوصاً ما ارتبط بتصنيف العلوم في إطار نزعتة التوفيقية بين الوافد اليوناني والرافد الإسلامي، أو ما يعرف بالتوفيق بين العقل والنقل.

أما الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته في أحكام العلوم العقلية، نجده يتحدث عن تقاسيم الحكمة ومراتب العلوم ومضمونها، كما نجده يتحدث عن الحكمة من خلال مستويين، الأول نظري والثاني عملي، وكل فرع من فروع هذه التقسيمات تتدرج ضمنه معارف أخرى ثانوية، كما لم يستبعد ابن سينا منطق أرسطو فمعروف عنه اهتمامه بالمنطق، وكل هذا مدرج في مؤلفه منطق المستشرقين، ونجد من العلوم القائمة على الاعتقاد، ومنها ما هي حاضرة لخبرة عملية والحكمة الفطرية، تشمل على علم أسفل وعلم أوسط وعلم أعلى، الأعلى عملي، والأوسط رياضي، والأسفل طبيعي مادي يتحدث عن حدوث المادة والحركة (العربي، 1999، صفحة 166).

كذلك نجد تقسيماً للعلوم على أساس المجتمع، أو ما يعرف بمجتمعات المعرفة خصوصاً وأن هدف المعرفة مرتبط بتطوير المجتمع. نجد في هذا السياق تصنيف كونت للعلوم، رياضيات، فيزياء، كيمياء، أحياء، طبيعيات، اجتماعي، هذا الأخير ربطه بالمسار التراكمي لتطور المعارف، فيما أسماه بقانون الأحوال الثلاث، وتقسيم العلوم من حيث الوضع امتاز به كونت، وكان هذا تطور للمنهج التجريبي وامتداد للفلسفة الوضعية (شمس الدين، 1988، صفحة 5).

5. علم اجتماع العلوم

معالجة العلوم من نظر المجتمع كان اختصاص علم اجتماع العلوم الذي يُعنى بالبحث في المقومات الاجتماعية للنشاط العلمي، واستثمار نتائج العلوم الأخرى في البيئة الاجتماعية والاقتصادية من خلال خلق علاقة بين العلم وأفراد المجتمع، وتوضيح طبيعة المعرفة حسب كل مجتمع، وهذا إنما يدل على نسبية المعارف من مجتمع لآخر.

وتقسيم آخر للمعارف ليس حسب المجتمع بل حسب تجليات المعرفة بين النظري والتطبيقي اختص به لالاند، حيث ميز بين العلوم العملية التطبيقية والعلوم الاجتماعية والمعارف والأخلاقية (بوير، 1986، صفحة 14). فهناك العلوم المرتبطة بدراسة ما هو كائن بصفة عملية تطبيقية، وهناك معارف تبحث في ما ينبغي أن يكون شروطه وتختص بالمعايير لذلك نعتها بالعلوم المعيارية. وتصنيف العلوم يعكس موقع ومكانة المعارف في كل عصر حسب بنية المجتمع على مختلف الميادين والمستويات الثقافية والإيديولوجية والسياسية.

6. طبيعة الخطاب الإستيمولوجي ونظرية الحقيقة

1.6 نظرية الحقيقة

في تحديد طبيعة الخطاب الإستيمولوجي نجد صعوبة الفصل في هل هو خطاب علمي أم فلسفي؟ خصوصاً وأن أغلب من كتب حول الإستيمولوجيا علماء تفلسفوا عندما وجدوا عقبات معرفية في دراستهم للطبيعيات أو الأحياء وحتى الفيزياء، ومن الأزمت التي حملها العلماء بعداً إستيمولوجياً، أزمة الفلك، والكيمياء والرياضيات والفيزياء، ففي الفلك يظل تصوير بطليموس الذي عمر طويلاً، فقد عوض كوبرنيكوس الفلك عند بطليموس (لالاند، 1996، صفحة 1254). والأزمات في تاريخ العلوم اتخذت طابعاً نقدياً تحليلياً تفلسف فيه العلماء بعد تحول الأنموذج المعرفي السوي وغير السوي، ومن انشغالات الإستيمولوجيا البحث عن نظرية الحقيقة ومعياريها وفيما يلي نتخذ بعض النماذج من تصورات الفلاسفة للحقيقة.

الحقيقة واحدة والفهم البشري لها هو المتغير، وهذا التغير هو ما يبرر وجود مختلف المنظومات المعرفية التي هي فهم للطبيعة، وليست هي الطبيعة، فطبيعة التبرير تتخذ أشكالاً عدة سواء ارتبطت الأمر بالتطابق مع العقل أو مع الحواس التي هي نوافذ من خلالها نطل على العالم، أو ما حققت لنا نجاحاً علمياً حسب التبرير البرغماتي في النظرية العلمية. فكما ذكرنا عن تعدد أضرب الحقيقة بين نسبية وذاتية السفسطائية عند اليونان، وارتباطها بالمثل عند أفلاطون، والتعقل عند القديس أوغسطين، والتجريد الذهني عند أنصار المذهب العقلي، أمثال ديكارت، حيث اعتبر الفيلسوف رياضياً يبلغ الحقيقة بالعقل (ريشبنارخ، 2006، صفحة 58) .

والحقيقة في الطرح البرغماتي هي ما تؤدي إلى تحقيق النجاح العملي الملموس لأنّ معيار الصدق ما يحقق الرضا والإطمئنان ونتائج عملية ملموسة. والخبرة هي جوهر نظرية المعرفة، والمدلول لأي كلمة من الكلمات إنّما يكون في تأثيرها على مجرى الحياة وإلاّ فلا يكون هناك معنى لهذه الكلمات (ديورانت، 1996، صفحة 231). والحقيقة سواء كانت علمية أو فلسفية هي بنت البحث، والبحث الفلسفي في علاقته مع العلم يتخذ دوماً طابعاً إبستمولوجياً يجمع بين النقد والتحليل وفحص مختلف النظريات.

2.6. خصوصية الإبستمولوجيا أمام المعارف الأخرى

للابستمولوجيا ارتباط وثيق بمختلف المعارف: تاريخ العلوم، ونظرية المعرفة، الميتودولوجيا أو علم المناهج، وعلم اجتماع العلوم، وتتجلى في مختلف القضايا العلمية في الخطاب الفرنسي، وفي كلّ قضايا المعرفة عند الأنجلوسكسونيين، والإبستمولوجيا خطاب تأملي يفترض العلم وتأتي بعده، بخطاب نقدي يحكم عليه، والحكم يكون دون الاكتفاء بالوصف وفيما يلي نوضح بعض نقاط تقاطع الإبستمولوجيا أمام المعارف الأخرى:

1.2.6 الإبستمولوجيا وفلسفة العلوم

فلسفة العلوم أعم من الإبستمولوجيا، فالإبستمولوجيا جزء من فلسفة العلوم، وترتبط بالعلوم من خلال تاريخ العلوم، وطبيعة تطور المعارف سواء بالتراكم أو القطيعة، وتاريخ العلوم هو تسلسل تمر به الحقائق العلمية بشتى أنواعها عبر العصور، فتاريخ الفيزياء مثلاً هو ذلك التعاقب للنظريات الفيزيائية (ديوي، د.س، صفحة 232). وهذا التعاقب كان من خلال الطرح التقليدي والطرح المعاصر، وتدل كلمة إبستمولوجيا أيضاً على فلسفة العلوم لكن ليست هي دراسة المناهج العلمية التي هي موضع الطرائقية (لاند، 1996، صفحة 357). فروع الإبستمولوجيا وارتباطها بالعلوم هي نقدية خالصة تدرس نتائج العلوم، ودراسة نتائج العلوم هادف إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها ومداها الموضوعية.

2.2.6 الإبستمولوجيا ونظرية المعرفة

نظرية المعرفة أعم من الإبستمولوجيا كونها تتضمن مختلف جوانب المعرفة، أما الإبستمولوجيا فهي بحث في المعارف والعلوم الداخلية والخارجية الفلسفية قصد النقد، فهي ملتقى اتجاهات كثيرة. والمعرفة مرتبطة بالذات العارفة وموضوع المعرفة، وبالتالي علاقة الإبستمولوجيا بنظرية المعرفة هي علاقة الجزء بالكل.

7. اللانسقية المعاصرة عند فيرابند

الفلسفة الغربية المعاصرة تحول من النسق إلى الذات، ومن الخطاب حول المنهج الذي كان حوار الفلسفة الغربية الحديثة في تياراتها المعرفية بين المنهج العقلي والمنهج التجريبي والمنهج النقدي؛ أما جوهر الخطاب الفلسفي العلمي المعاصر يحاكي تحول الفلسفة من النسق إلى الذات ومن المنهج إلى اللامنهج ومن المعقول إلى اللامعقول والأسطورة والتأويل والفهم والرغبة والسياسة، وسط تنوع القيم وتحول المعرفة من العالم إلى الإنسان، فمرجعيات الخطاب الإستيمولوجي المعاصر تقوم على اللامنهج والتأويل والفهم وتنوع القيم والحفر الأركيولوجي، والتحقق والعملية والتداولية.

أما اللامنهج فهو جوهر فلسفة فيرابند الذي لم ينقيد بمنطق ومنهج وسط التنوع والتحول المعاصر، والعودة إلى الميتوس أو الأسطورة والرغبة في بناء الخطاب المعرفي العلمي المعاصر، الذي استودع فيه العقل والتجربة على حد سواء، وأسس للمعرفة بعيدا عن العقل والمنهج لأن ضد المنهج بداية جديدة مثلما يذكر فيرابند في مؤلفه الموسوم بـ: (العلم في مجتمع حر) حيث يقول: «العودة إلى ضد المنهج هي بيان أن بعض المعايير والقواعد المعقولة والبسيطة جدا والتي نظر إليها الفلاسفة والعلماء معا بوصفها مقومات ضرورية للعقلانية كانت قد انتهكت في الفترات التي أعقبت الثورة الكوبرنيكية وانتصار النظرية الحركية ونشأة نظرية الكم وهكذا نظروا إليها على أنها ضرورية وهي في الحقيقة قواعد قد انتهكت» (فيرابند، 2000، صفحة 21).

فلم تعد النظريات العلمية الكلاسيكية مرجعية معاصرة لليقين والبداية المعرفية، بل نحتاج إلى تأويلات جديدة لا تنقيد بمنهج، وهذا جوهر رؤية بول فيرابند للعلم وللمنهج، حيث لابد أن يوجد تناغم لقيم جديدة تشمل الأسطورة والدين، الرغبة، السياسة، يقول فيرابند: «أنه عندما يتحدث عن النظريات فأنها تتضمن الأساطير والأفكار السياسية والمذاهب الدينية، كما يرى أنها تعبير وجهة نظر تنطبق على بعض جوانب كل ما هو موجود» (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، 1993، صفحة 22).

فهذه النظريات لا يمكن أن تكون شذوذا أو طفرة بل لها أهمية كبيرة في بناء خطاب معرفي، ولا توجد معرفة كلية «المعرفة الكلية حسب فيرابند غير ضرورية وغير متاحة وكل ما هو متاح وجهات نظر مختلفة تكون صادقة من بعض الجهات فقط ولا وجود لأي أراء لا ترتبط بتقليد معين» (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، 1993، صفحة 26)، حيث يجعل فيرابند للمعرفة تقاليد جديدة وتأويلات متنوعة ومرتبطة بالنسبية والذات واللامعقول ولا تنقيد بمرجعية معينة، فحقيقة الخطاب الإستيمولوجي المعاصر تقوم على اللانسقية واللامعقول في فلسفة بول فيرابند، خصوصا في الخطاب الإستيمولوجي المعاصر الذي يبطل غدا ما أثبتته اليوم.

8. خاتمة

بعد عرضنا لمجمل مجالات الخطاب الإبستمولوجي وارتباطه بمختلف المناهج والعلوم، وتحولاته حسب ظروف وحاجات كل عصر، توصلنا إلى النتائج التالية:

- عموماً البحث في فلسفة العلوم من حيث الماهيات والمجالات، يبقى ملقياً تخصصات كثيرة، واتجاهات مختلفة على اختلاف وتنوع أنساق ومذاهب المعرفة، وطبيعة تبرير الوقائع، والدور الجلي للإبستمولوجيا هو النقد، فهناك فرق شاسع بين تجميع المعرفة والتنظير لها، فدور الإبستمولوجي التنظير للمعارف، خصوصاً عصر التحليل اللغوي والتفسير الوضعي للمعارف، والتجديد المعرفي، كون العلم بناء يهدم ويشيد باستمرار، والإنسان بطبعه تواق إلى البحث عن المعرفة كما ورد في مدينة أرسطو في كتاب الميتافيزيقا عن المعرفة إذ الإنسان بطبعه يحب المعرفة.

- الخطاب الإبستمولوجي المعاصر يعكس تطور فلسفة العلوم من الطرح الكلاسيكي لنظرية المعرفة التي تشمل التناغم بين تاريخ العلم والإبستمولوجيا والميتودولوجيا علم المناهج إلى الصورة المعاصرة للخطاب الإبستمولوجي الذي ينطلق من العلم ليصل إلى الفلسفة لأن الفلسفة المعاصرة هي فلسفة علم وتطبيقية أكثر منها نظرية.

- وتوصلنا من خلال مجالات الخطاب الإبستمولوجي المعاصر إلى توضيح اللانسقية في الإبستمولوجيا المعاصرة والعودة إلى الأسطورة واللامعقول واللامنهج في بناء معرفة، وهذا جوهر فلسفة بول فيرايند بالإضافة إلى مرجعية الخطاب الإبستمولوجي الذي يوضح خصوصية العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال علم اجتماع العلوم والبحث عن منهج لفهم الإنسان وللاستخدام العلمي يوازي تقدم المنهج في الطبيعيات فالدخول إلى الفلسفة الغربية المعاصرة هو فلسفة العلم التي تبحث عن الوضعية والموضوعية والتحقق وتستبعد الميتافيزيقا والخطاب الإبستمولوجي الراهن يعكس تنوع القيم في المعرفة وتجاوز ثنائي القيمة فكل من الأسطورة والانساق والرغبة هي مصادر معرفية من أجل إدراك الحقيقة التي لا تعرف اليقين، خصوصاً أن الخطاب الإبستمولوجي المعاصر يخضع لمبدأ النسبية وتنوع القيم.

- الخطاب الإبستمولوجي المعاصر، هو رؤية نقدية جديدة تتجاوز الطرح الكلاسيكي داخل نظرية المعرفة، وخاصية هذا الخطاب منذ العصر الحديث أنه قائم على تفلسف العلماء في مجال الطبيعيات والبيولوجيا والبيئة، ويخضع لمبدأ التعميم والتكميم والنسبية.

- تجاوز الخطاب الإستيمولوجي الصورة الثنائية للمعرفة بين النفي والإثبات ليصبح خطاب متنوع القيم وثابت ومتحول، داخل الفلسفة المعاصرة التي هي تحول من النسق إلى الذات، فلم يتقيد الخطاب الإستيمولوجي المعاصر بالمنهج والنسق، وكانت فلسفة بول فايربند ضد المنهج والنسق تحاكي التطور المعاصر لفلسفة العلوم.

9. قائمة المراجع:

1. أندريه لالاند، (1996)، الموسوعة الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.
2. بول فيرابند، (1993)، ثلاث محاورات في المعرفة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
3. بول فيرابند، (2000)، العلم في مجتمع حر، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.
4. توماس كوهن، (2007)، بنية الثورات العلمية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
5. جون ديوي، (د.س)، نمو البراغمانية، القاهرة دار الكتاب العربي، لبنان.
6. عبد الأمين شمس الدين، (1988)، المذهب التربوي عند ابن سينا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان.
7. عبد المجيد عمر النجار، (1992)، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
8. عماري الطالب، (2006)، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر.
9. كارل بوبر، (1986)، منطق الكشف العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
10. محمد العربي، (1999)، المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عند العرب، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان.
11. هانز ريشنبارخ، (2006)، من كوبرنيكوس إلى أينشتاين، الدار المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
12. هانس غيورغ غادامير، (2006)، فلسفة التأويل الأصول - المبادئ - الأهداف، منشورات الاختلاف، الجزائر.
13. ول ديورانت، (1996)، قصة الفلسفة، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.
14. يمني طريف الخولي، (2000)، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.